

فَتْحُ الشَّافِيِّ لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ الْمَبُورِيِّ

فَتْحُ الشَّافِيِّ

لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الشَّافِعِيِّ

تَأْلِيفَ

أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ بْنِ سَالِمِ الْمَبُورِيِّ

مَكْتَبَةُ الْخَضِرِ

فَتْحُ الشَّافِيِّ لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ اللَّمْبُورِيِّ

فَتْحُ الشَّافِيِّ

لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ

مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ

تَأْلِيفُ

أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ بْنِ سَالِمٍ اللَّمْبُورِيِّ

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَمَنْ وَآلَاهُ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا شَرْحٌ مُخْتَصَرٌ لِاعْتِقَادِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ مِنْ
رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ، وَهَذَا الْكِتَابُ سَيَكُونُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَقْرِيرَ
الْمُعْتَقَدِ عَلَى مَذْهَبِ الْحَقِّ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
وَقَدْ كَانَ أَصْلُ هَذَا الْكِتَابِ دَوْرَةً عِلْمِيَّةً أَلْقَيْتُهَا فِي مَسْجِدِ الْمَغْفِرَةِ بِمَدِينَةِ
دِيُوكَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مِنْ آخِرِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ
وَأَلَفٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.
أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا
الْعَمَلَ الَّذِي أَرَدْتُ الذُّودَ بِهِ عَنْ مَذْهَبِ الْحَقِّ مَذْهَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَهْلِهِ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ نَافِعًا
لِعِبَادِهِ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّ
الرَّحْمَةِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهُ

أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ الْخَضِرُ بْنُ سَالِمٍ اللَّمْبُورِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْمِصْرِيُّ،
قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا
يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمَنَ بِهِ، فَقَالَ: لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْمَاءُ وَصِفَاتُ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْمَاءُ وَصِفَاتُ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ، يَعْنِي إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، قَالَ فِي
كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فَكُلُّ اسْمٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ يَتَضَمَّنُ صِفَةً مِنَ الصِّفَاتِ، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ الْإِسْمُ صِفَةً
وَاحِدَةً، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ أَكْثَرَ مِنْ صِفَةٍ. وَأَمَّا الصِّفَاتُ الَّتِي لَمْ تُشْتَقَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَمِنْهَا
بَعْضُ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ الدَّائِيَّةِ، مِثْلُ صِفَةِ الْكَلَامِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾
[الأعراف: ١٤٣].

وَمِنْ الصِّفَاتِ الدَّائِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ الْقُرْآنُ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَدْ أَثْبَتَ
الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ

فَتَحَّ الشَّافِعِيُّ لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ اللَّمْبُورِيِّ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَهْلٍ الرَّمْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لِي: كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قُلْتُ: فَمَنْ قَالَ بِالْمَخْلُوقِ فَمَا هُوَ عِنْدَكَ؟ قَالَ: كَافِرٌ، فَقُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ لَقِيتَ مِنْ أَسْتَاذِيكَ قَالُوا مَا قُلْتَ؟ قَالَ: مَا لَقِيتُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا قَالَ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَهُمْ. وَرَوَى أَيْضًا الْأَلِكَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَقَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِالْكَلامِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَقَالَ فِي وَصْفِ الْمَخْلُوقِ بِهِ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. فَلَهُ جَلٌّ وَعَلَا كَلَامٌ حَقِيقِيٌّ يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ؛ وَلِلْمَخْلُوقِ كَلَامٌ أَيْضًا مُنَاسِبٌ لِحَالِهِ. وَبَيْنَ كَلَامِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنَ الْمُنَافَاةِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ. [أضواء البيان (٢/٢١-٢٢)].

قَوْلُهُ: وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ بِإِثْبَاتِهَا كَمَا وَرَدَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا» نَفْيٌ غَيْرُهَا، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّخْصِصُ بِذِكْرِهَا لِأَنَّهَا أَشْهُرُ الْأَسْمَاءِ وَأَبْيَنُهَا مَعَانِيٌّ، وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبَرُ أَنَّ «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». وَفِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ: «مَنْ

حَفِظَهَا»، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «مَنْ أَحْصَاهَا» مَنْ عَدَّهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ أَطَاقَهَا بِحُسْنِ الْمُرَاعَاةِ لَهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِهَا فِي مُعَامَلَةِ الرَّبِّ بِهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ عَرَفَهَا وَعَقَلَ مَعَانِيَهَا وَآمَنَ بِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ (٢٧/١)].

وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرِ وَلَا تَخُذٍ بَعْدَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ هَمِّهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَا يَسَعُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ رَدُّهَا.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: **الْحُجَّةُ**، يَعْنِي الدَّلِيلَ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ». قَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ» يَدُلُّكَ عَلَى النَّجَاةِ إِنْ عَمِلْتَ بِهِ «أَوْ عَلَيْكَ» إِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ، فَيَدُلُّ عَلَى سُوءِ عَاقِبَتِكَ. [فِيضُ الْقَدِيرِ (٢٩٠/٤)].

فَتَحَّ الشَّافِعِيُّ لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ اللَّمْبُورِيِّ

وَقَدْ سُئِلَ الشَّافِعِيُّ: أَيْشُ الْحُجَّةِ فِي دِينِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَمَاذَا؟ قَالَ: سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَاذَا؟ قَالَ: اتِّفَاقُ الْأُمَّةِ.
[مناقب الشافعي للأبري (ص: ٨٣)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَقَامَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حُجَّتَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَنْبِيَائِهِ بِالْأَعْلَامِ
الَّتِي بَايَنُوا بِهَا خَلْقَهُ سِوَاهُمْ، وَكَانَتْ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ شَاهَدَ أُمُورَ الْأَنْبِيَاءِ دَلَالَتُهُمْ الَّتِي
بَايَنُوا بِهَا غَيْرَهُمْ وَعَلَى مَنْ بَعَدَهُمْ وَكَانَ الْوَاحِدُ فِي ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنْهُ سِوَاءَ تَقُومُ
الْحُجَّةُ بِالْوَاحِدِ مِنْهُمْ قِيَامُهَا بِالْأَكْثَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ
إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم
مُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣-١٤]، فَظَاهَرُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِاثْنَيْنِ، ثُمَّ ثَالِثٍ وَكَذَا أَقَامَ
الْحُجَّةَ عَلَى الْأُمَمِ بِوَاحِدٍ، وَلَيْسَ الزِّيَادَةُ فِي التَّأْكِيدِ مَانِعَةً مِنْ أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ
بِالْوَاحِدِ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يُبَايِنُ بِهِ الْخَلْقَ غَيْرَ النَّبِيِّينَ. [أحكام القرآن (ص: ١٦)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهَا وَصَحَّ عِنْدَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْهُ الْعَدْلُ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

كَانَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَيُكْفِّرُهُ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ الْأَلِكَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّيِّعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقَ بِهِ وَكُنْتُ حَاضِرًا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ حَفْصُ الْفَرْدُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَرَوَى أَيْضًا الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سُنَنِهِ عَنِ الرَّيِّعِ بْنِ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أَبُو شُعَيْبٍ: أَنَّ حَفْصًا الْفَرْدَ نَاطَرَ الشَّافِعِيَّ فَقَالَ حَفْصٌ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. [سنن البيهقي (٤٠٧/٢)].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ، وَقَدْ كَفَّرَ الشَّافِعِيُّ حَفْصًا كَمَا كَفَّرَ الْأَعْرَابِيُّ جَهْمًا وَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، قَالَ الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ جَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ التِّرْمِذِيَّ كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِ الْبَاطِلِ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ لَا عِلْمَ لَهُ، قَادِرٌ لَا قُدْرَةَ لَهُ وَكَذَا فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ، وَكَانَ جَلَسَ يَوْمًا يَدْعُو النَّاسَ لِمَذْهَبِهِ وَحَوْلَهُ أَقْوَامٌ كَثِيرَةٌ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَوَقَفَ حَتَّى سَمِعَ مَقَالَتهُ، فَأَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بُطْلَانِ هَذَا الْمَذْهَبِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَلَا إِنَّ جَهْمًا كَافِرٌ بَانَ كُفْرُهُ	وَمَنْ قَالَ يَوْمًا قَوْلَ جَهْمٍ فَقَدْ كَفَرَ
لَقَدْ جَنَّ جَهْمٌ إِذْ يُسَمِّي إِلَهَهُ	سَمِيْعًا بِلَا سَمْعٍ بَصِيرًا بِلَا بَصَرٍ
عَلِيمًا بِلَا عِلْمٍ رَضِيًّا بِلَا رِضَى	لَطِيفًا بِلَا لُطْفٍ خَبِيرًا بِلَا خَبَرٍ
أَيْرُضِيكَ أَوْ لَوْ قَالَ يَا جَهْمُ قَائِلٌ	أَبُوكَ امْرُؤٌ حُرٌّ خَطِيرٌ بِلَا خَطَرٍ
مَلِيحٌ بِلَا مَلَحٍ بَهِيٌّ بِلَا بَهَا	طَوِيلٌ بِلَا طُولٍ يُخَالِفُهُ الْقِصَرُ

حَلِيمٌ بِلَا حِلْمٍ وَفِيَّ بِلَا وَفَا فَبِالْعَقْلِ مَوْصُوفٌ وَبِالْجَهْلِ مُشْتَهَرٌ
جَوَادٌ لَا جُودَ قَوِيٌّ بِلَا قُوَى كَبِيرٌ بِلَا كِبَرٍ صَغِيرٌ بِلَا صِغَرٍ
أَمَدًا تَرَاهُ أَمْ هِجَاءٌ وَسَبَّةٌ وَهَزَاءٌ كَفَاكَ اللَّهُ يَا أَحْمَقَ الْبَشَرِ
فَإِنَّكَ شَيْطَانٌ بُعِثَ لِأُمَّةٍ تُصَيِّرُهُمْ عَمَّا قَرِيبٍ إِلَى سَقَرٍ
فَأَلْهِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةَ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَرَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِبِرْكَةِ
أَنْبِيَائِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ الْأَعْرَابِيَّ رَحْمَةً لِأُولَئِكَ.
[جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (١/١٤٦)].

قَوْلُهُ: **رَوَى عَنْهُ الْعَدْلُ**، يَعْنِي مَنْ تَرَكَ الْكِبَائِرَ وَكَانَتْ مُحَاسِنُهُ أَكْثَرَ مِنْ مُسَاوِيئِهِ،
قَالَ الصَّنْعَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْعَدَالَةِ قَوْلًا اسْتَحْسَنَهُ كَثِيرٌ مِنَ
الْعُقَلَاءِ مَنْ بَعْدَهُ قَالَ: لَوْ كَانَ الْعَدْلُ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ لَمْ نَجِدْ عَدْلًا، وَلَوْ كَانَ كُلُّ ذَنْبٍ
لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَدَالَةِ لَمْ نَجِدْ مَجْرُوحًا، وَلَكِنْ مَنْ تَرَكَ الْكِبَائِرَ وَكَانَتْ مُحَاسِنُهُ أَكْثَرَ مِنْ
مُسَاوِيئِهِ فَهُوَ عَدْلٌ. [ثمرات النظر (ص: ٧٢-٧٣)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ فَمَعْدُورٌ بِالْجُهْلِ، لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَلَا بِالرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ، وَنَحْنُ ذَلِكَ أَخْبَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

الشرح

قَوْلُهُ: فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ فَمَعْدُورٌ بِالْجُهْلِ، يَعْنِي مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْقُرْآنُ وَلَا السُّنَّةُ فَهُوَ مَعْدُورٌ بِجَهْلِهِ، حُكْمُهُ حُكْمُ مَنْ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَهْلُ الْإِيمَانِ، قَدْ ثَبَتَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ وَالْمُسْتَدْرَكِ لِلْحَاكِمِ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ رَبِيعٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا». قَالَ صَلَهِ بْنُ زُفَرٍ لِحُذَيْفَةَ: فَمَا تُعْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يُدْرُونَ مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، فَرَدَدَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَهِ تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ. قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

قَوْلُهُ: الرَّوْيَةُ، يَعْنِي النَّظَرَ وَالتَّفَكِيرَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ الْحَرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَثَبَتَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تُمَثِّلَ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تُحَدِّدَهُ وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ؛ وَعَلَى النُّفُوسِ أَنْ تُفَكِّرَ؛ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُعَمِّقَ

فَتَحَّ الشَّافِي لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ لِأَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْخَضِرِ اللَّمْبُورِيِّ

وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تُحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إِلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. [مجموع الفتاوى (٦/٤)].

قَوْلُهُ: وَنَحْنُ ذَلِكَ أَخْبَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]. قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَيَقْتَرُونَهُ عَلَى رَبِّهِمْ، مِنْ ادِّعَائِهِمْ لَهُ الشُّرَكَاءَ وَالْأَنْدَادَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَكَلَامِ غَيْرِهِمْ، بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَهُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَهُمْ. [جامع البيان (٥٧٥/١٨)].

وَقَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ فِي وَصْفِ نَفْسِهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، [لقمان: ٢٨]، [المجادلة: ١]، وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَقَالَ فِي وَصْفِ الْحَادِثِ بِهِمَا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. فَلَهُ جَلٌّ وَعَلَا سَمْعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقَيَانِ يَلِيقَانِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَلِلْمَخْلُوقِ سَمْعٌ وَبَصَرٌ مُنَاسِبَانِ لِحَالِهِ، وَبَيْنَ سَمْعِ الْخَالِقِ وَبَصَرِهِ وَسَمْعِ الْمَخْلُوقِ وَبَصَرِهِ مِنَ الْمُنَافَاةِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ. [أضواء البيان (٢١/٢)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَأَنَّ لَهُ يَمِينًا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

الشرح

قَوْلُهُ: **وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ**، يَعْنِي إِثْبَاتَ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُمَا يَدَانِ حَقِيقَتَانِ لَا يُقْتَنَانِ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾ [ص: ٧٥]. وَفِي ذَلِكَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَدِ النِّعْمَةُ وَالْقُدْرَةُ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ وَتَحْرِيفٌ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْيَدِ النِّعْمَةُ لَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنِعْمَتَيْنِ، وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]. وَأَيْضًا لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْيَدِ الْقُدْرَةُ لَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقُدْرَتَيْنِ، وَهَذَا بَاطِلٌ، قَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا يَصِحُّ هُنَا تَأْوِيلُ الْيَدِ بِالْقُدْرَةِ أَلْبَتَّةَ، لِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كُلِّهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَثْنِيَةُ الْقُدْرَةِ. [أضواء البيان (٣٦٧/٧)].

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى يَدَيْنِ، وَهُمَا صِفَةٌ لَهُ فِي ذَاتِهِ لَيْسَتْا بِجَارِحَتَيْنِ وَلَيْسَتْا بِمَرْكَبَتَيْنِ، وَلَا جِسْمٌ وَلَا مِنْ جِنْسِ الْأَجْسَامِ وَلَا مِنْ جِنْسِ الْمَحْدُودِ وَالتَّرْكِيْبِ وَلَا الْأَبْعَاضِ وَالْجَوَارِحِ وَلَا يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا لَهُ مِرْفَقٌ وَلَا عِضْدٌ وَلَا فِيمَا يَفْتَضِي ذَلِكَ مِنْ إِطْلَاقِ قَوْلِهِمْ يَدٌ إِلَّا مَا نَطَقَ الْقُرْآنُ بِهِ أَوْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّنَّةُ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾ [ص: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَيُفْسَدُ أَنْ تَكُونَ يَدُهُ الْقُوَّةُ

وَالنِّعْمَةُ وَالتَّفَضُّلُ، لِأَنَّ جَمْعَ يَدٍ أَيْدٍ وَجَمْعُ تِلْكَ أَيْيَادٌ، وَلَوْ كَانَتْ الْيَدُ عِنْدَهُ الْقُوَّةَ
لَسَقَطَتْ فَضِيلَةُ آدَمَ وَثَبَتَتْ حُجَّةُ إِبْلِيسَ. [اعتقاد الإمام ابن حنبل (ص: ٢٩٤)].
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، فَلَا يُرَادُ بِشَيْءٍ مِنْهُ مَعْنَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ التَّعْظِيمُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنَّ لَهُ وَجْهًا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: **وَإِنَّ لَهُ وَجْهًا**، يَعْنِي إِثْبَاتَ الْوَجْهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الدَّائِيَّةِ، لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ الدَّاتُ أَوْ الْجِهَةُ أَوْ الثَّوَابُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَهَذِهِ تَأْوِيلَاتٌ بَاطِلَةٌ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الدَّاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: **﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾**، وَوَصَفَ الْوَجْهَ بِقَوْلِهِ: **﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾**، فَلَمَّا وَصَفَ وَجْهَهُ بِذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْوَجْهَ صِفَتُهُ الدَّائِيَّةُ، فَهُوَ وَجْهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهًا لَا كَالصُّورِ الْمَصُورَةِ وَالْأَعْيَانِ الْمَحْطُطَةِ، بَلْ وَجْهُ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص: ٨٨]. وَمَنْ غَيَّرَ مَعْنَاهُ فَقَدْ أَلْحَدَ عَنْهُ، وَذَلِكَ عِنْدَهُ وَجْهُ فِي الْحَقِيقَةِ دُونَ الْمَجَازِ، وَوَجْهُ اللَّهِ بَاقٍ لَا يَبْلَى، وَصِفَةُ لَهُ لَا تَفْنَى، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ وَجْهَهُ نَفْسُهُ فَقَدْ أَلْحَدَ، وَمَنْ غَيَّرَ مَعْنَاهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَعْنَى وَجْهِ مَعْنَى جَسَدٍ عِنْدَهُ، وَلَا صُورَةً وَلَا تَخْطِيطًا، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ ابْتَدَعَ. [اعتقاد الإمام ابن حنبل (ص: ٢٩٤)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّ لَهُ قَدَمًا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ فِيهَا قَدَمَهُ»، يَعْنِي جَهَنَّمَ.

الشرح

قَوْلُهُ: وَأَنَّ لَهُ قَدَمًا، يَعْنِي إِثْبَاتَ الْقَدَمِ لِلَّهِ سُبحَانَهُ، وَهِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَصِفَةُ الْقَدَمِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، فَقَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ.

وَرَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي التَّوْحِيدِ وَابْنُ مَنْدَه فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ فِي أُصُولِ السُّنَّةِ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْأَثَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّهُ يَضْحَكُ مِنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَضْحَكُ إِلَيْهِ.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: وَأَنَّهُ يَضْحَكُ مِنْ عَبْدِهِ، يَعْنِي إِثْبَاتَ الضَّحِكِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ صِفَةٌ
فِعْلِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَا ثَبَتَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَفْتُلُ
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهِدُ قَالَ: ثُمَّ
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ فَيُسَلِّمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُسْتَشْهِدَ».

قَالَ ابْنُ حُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلَا صِفَةٍ
تَصِفُ ضَحِكُهُ (يَعْنِي بِلَا تَكْيِيفٍ لِضَحِكِهِ) جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَا وَلَا يُشَبَّهُ ضَحِكُهُ
بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، وَضَحِكُهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ، كَمَا أَعْلَمَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَسَكْتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
اسْتَأْثَرَ بِصِفَةِ ضَحِكِهِ، لَمْ يُطْلَعْنا عَلَى ذَلِكَ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مُنْصِتُونَ عَمَّا لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ.
[كِتَابُ التَّوْحِيدِ (ص: ١٨٥)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّهُ يَهْبِطُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.

الشرح

قَوْلُهُ: **وَأَنَّهُ يَهْبِطُ**، يَعْنِي إِثْبَاتَ النُّزُولِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وَفِي الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ النُّزُولِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِثْبَاتُ الْعُلُوِّ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ النُّزُولَ يَكُونُ مِنَ الْعُلُوِّ، قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **رَوَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْحَسَنِ الْهَكَارِيُّ وَالْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَدِّسِيُّ بِإِسْنَادِهِمْ إِلَى أَبِي ثَوْرٍ وَأَبِي شُعَيْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ نَاصِرِ الْحَدِيثِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: الْقَوْلُ فِي السُّنَّةِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا وَرَأَيْتُ عَلَيْهَا الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ مِثْلَ سُفْيَانَ وَمَالِكٍ وَغَيْرِهِمَا الْإِفْرَارُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ وَيَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ وَذَكَرَ سَائِرَ الْإِعْتِقَادِ. [العلو للعلي الغفار (ص: ١٦٥)].**

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

الشرح

قَوْلُهُ: **وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**، يَعْنِي إِثْبَاتَ الْعَيْنِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فَقَدْ نَطَقَتِ السُّنَّةُ بِإِثْبَاتِ الْعَيْنِ، رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذَرَهُ قَوْمُهُ لَقَدْ أُنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمُهُ وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

وَذَلِكَ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ إِثْبَاتَ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَائِي النَّاسِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَائِفَةٌ».

وَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ بِلَفْظِ الْعَيْنِ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣، ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَعَبَّرَ عَنِ الرُّؤْيَةِ بِالْأَعْيُنِ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تَكُونُ بِهَا، وَيَكُونُ جَمْعُ الْأَعْيُنِ لِلْعَظَمَةِ لَا لِلتَّكْثِيرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. وَقَدْ يَرْجِعُ مَعْنَى الْأَعْيُنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا

إِلَى مَعْنَى عَيْنٍ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وَذَلِكَ كُلُّهُ عِبَارَةٌ عَنْ الْإِدْرَاكِ
وَالْإِحَاطَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَوَاسِّ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ. [تفسير القرطبي
(٣٠/٩)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ.

الشرح

قَوْلُهُ: **وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، يَعْنِي إِثْبَاتَ رُؤْيَا اللَّهِ
تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾
[القيامة: ٢٢-٢٣]، أَيْ تَرَاهُ عَيْنَانَا كَمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي صَحِيحَيْهِمَا
عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ:
«أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ أَوْ لَا تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَيْهِ».

وَفِيهِمَا عَنْ شُعَيْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ
النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ
لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاعِيَّتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ
فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ
فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ
فَقَالَ: نَحْيُهُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ قَالَ: فَتُدْعَى
الْأُمَّمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلِ ثُمَّ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ

تَنْظُرُونَ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ.

وَفِيهِ عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟. فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعْنِي فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْعَرَصَاتِ وَفِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ. [تفسير ابن كثير (١٤٤/١٨)].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إَعْلَمَنَّ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى مُمَكِّنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا، وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَى وَقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى دُونَ الْكَافِرِينَ. وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ وَبَعْضِ الْمُرْجِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأً صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ. [شرح النووي على مسلم (٣٢٠/١)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّ لَهُ إِصْبَعًا يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا هُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ».

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: وَأَنَّ لَهُ إِصْبَعًا، يَعْنِي اثْبَاتَ الْأَصَابِعِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فَهِيَ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، قَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيلَهُ أَزَاعَهُ»، وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حَيَّوَةَ عَنْ أَبِي هَانِيٍّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَإِنَّ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ الْإِصْبَعِ لَا يُشْبِهُ الْحَدِيثَ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»، فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَى أَزْوَاجِهِ: أَوْخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى نَفْسِكَ؟، فَقَالَ: «إِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». فَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُحْفُوظٌ بِنِعْمَتَيْنِ، فَلَا يَشِيءُ دَعَا بِالتَّثْنِيتِ وَلَمْ احْتَجَّ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: أَتَخَافُ عَلَى نَفْسِكَ؟، بِمَا يُؤَكِّدُ قَوْلَهَا؟، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَخَافُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ

مَحْرُوسًا بِنِعْمَتَيْنِ. فَإِنْ قَالَ لَنَا: مَا الْإِصْبَعُ عِنْدَكَ هَهُنَا؟، قُلْنَا: هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ». وَكَذَا عَلَى إِصْبَعَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِصْبَعُ هَهُنَا نِعْمَةً، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَلَمْ يَجْزِ ذَلِكَ. وَلَا نَقُولُ: إِصْبَعٌ كَأَصَابِعِنَا وَلَا يَدٌ كَأَيْدِينَا، وَلَا قَبْضَةٌ كَقَبْضَاتِنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنَّا. [تأويل مختلف الحديث (ص: ١٠٧)].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرِ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصَدِّيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِصْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، كَالنَّفْسِ وَالْوَجْهِ وَالْعَيْنِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْإِثْيَانِ وَالْمَجْجِ وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالضَّحِكِ وَالْفَرَحِ. [شرح السنة (١/١٦٨)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَا يُدْرِكُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ بِالْفِكْرِ وَالرَّوْيَةِ، وَلَا يُكْفَرُ بِجَهْلِهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْوَارِدُ بِذَلِكَ خَبَرًا يَقُومُ فِي الْفَهْمِ مَقَامُ الْمُشَاهَدَةِ فِي السَّمَاعِ وَجَبَتْ الدِّينُونَةُ عَلَى سَامِعِهِ بِحَقِيقَتِهِ وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ كَمَا عَايَنَ وَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: وَلَا يُكْفَرُ بِجَهْلِهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ، لَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا إِعْذَارُ كُلِّ جَاهِلٍ، وَلَا تَجْهِيلُ كُلِّ وَاقِعٍ فِي هَذَا لِرَفْعِ الْكُفْرِ عَنْهُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الْحُجَّةُ. وَأَمَّا مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُهَا لِأَنَّهَا خَفِيَّةٌ أَوْ مُشْتَبِهَةٌ وَجَبَ عَلَيْهِ سُؤَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو رَزِينٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْيَضَحُكَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضَحُكَ خَيْرًا. [مسند أحمد (١١/٤)].

قَوْلُهُ: مَقَامُ الْمُشَاهَدَةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى مُقْتَضَى مُشَاهَدَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَنَوَّرَ الْقَلْبُ بِالْإِيمَانِ وَتَنْفُذِ الْبَصِيرَةِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَصْبِرَ الْعَيْبُ كَالْعِبَادَةِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَتَفَاوَتْ أَهْلُ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ فِيهِ بِحَسَبِ قُوَّةِ نُفُوذِ الْبَصَائِرِ. [كتاب الإيمان الأوسط (ص: ٦٥)].

وَقَوْلُهُ: السَّمَاعُ، أَيُّ مَا ثَبَتَ بِالنَّصِّ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ لِاسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ. وَقَوْلُهُ: الدِّينُونَةُ، أَيُّ ثُبُوتِ الْإِدَانَةِ وَالْحُكْمِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَكِنْ نُثِبَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَنَنْفِي التَّشْبِيهِ، كَمَا نَفَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ تَعَالَى
ذِكْرُهُ فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الشَّرْحُ

بَيَّنَ مَوْقِفُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّهُ يُثْبِتُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ عَلَى
الْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، فَيُثْبِتُهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا وَيَنْفِي عَنْهَا التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلَ عَلَى وَفْقِ مَا
جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]،
فَالْأَيُّهُ الْكَرِيمَةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ إِثْبَاتِ
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ عَنْهَا. فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ
عَلَى الْمُثَمِّلَةِ وَالْمُشَبِّهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ لِأَنَّ فِيهِ
إِثْبَاتَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ الَّذِي يَسْمَعُ جَمِيعَ الْأَصْوَاتِ، وَ﴿الْبَصِيرُ﴾
الَّذِي يَرَى كُلَّ شَيْءٍ وَ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل
عمران: ٥].

تَمَّ كِتَابُ فَتْحِ الشَّافِيِّ لِشَرْحِ اعْتِقَادِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
حَاتِمٍ الرَّازِيِّ بِعَوْنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.